مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 45–69

اضطهاد المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية (64–304م): الخلفيات والأسباب

Persecution of Christians in the Roman Empire (64-304 AD): backgrounds and causes

سعيدة أويحي Saida Ouyahia[1]، وزنة قاطر Ouzena Gater[2]

[1] جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله saidaouyahia@gmail.com

[2] جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله ouzena.gater@univ-alger2.dz

المؤلف المرسل: **دة/سعيدة أويحي** Saida Ouyahia البريد الالكتروني: saidaouyahia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 27 /2023/03 تاريخ القبول: 07 /2023/10

الملخص: كانت الإمبراطورية الرومانية مسيطرة على الأراضي الممتدة حول البحر المتوسط، مركز العالم القديم، خضعت لنفوذها السياسي أقاليم ضمت مختلف الأجناس البشرية والشعوب، ورغم الاختلاف اللغوي والثقافي والديني المميز لكل منها، إلا أن السلطات الحاكمة فيها أظهرت تسامحا كبيرا تجاه هذا الاختلاف، وتركت لهذه الأخيرة حرية مطلقة في ممارسة عاداتها وتقاليدها، مادامت خاضعة للقوانين الرومانية. ففي إطار أقاليم خاضعة لسلطة واحدة، نشأت الديانة المسيحية وتبلورت معالمها كعقيدة تضاهي المعتقدات الدينية المنتشرة آنذاك بين شعوب الإمبراطورية بمختلف أجناسها.

وكانت السّمات المميزة للإمبراطورية الرومانية في عدم تدخلها في أنظمة الشؤون الاجتماعية للشعوب الخاضعة لها، والتّسامح التّام اتجاهَ معتقداتها الدينية، وفي ممارسة طقوسها دون تمييز أو تدخل السلطة الحاكمة فيها، طالما أنها لا تخل بنظام الأمن العام، وتدفع الضرائب المفروضة عليها، غير أنّ موقفها اختلف إزاء الديانة المسيحية.سنحاول في هذه الدراسة معرفة الاتهامات الموجّهة للمسيحيين حتى أصبح أتباعها عُرضةً لاضطهاد السلطة ولسخرية وسخط المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الإمبراطورية الرومانية، المسيحية،بلين الشاب،ترتليان،الاضطهاد

Abstract:

The Roman Empire controlled the lands around the Mediterranean Sea, the centre of the ancient world, under its political influence, territories of various human races and peoples, and despite their distinctive linguistic, cultural and religious differences, its governing authorities showed great tolerance for this difference, leaving the latter with absolute freedom to practise their customs and traditions, as long as they were subject to Roman laws. Within territories under the same authority, the Christian faith arose and was conceived as a creed that matched the religious beliefs of the time, among the peoples of the Empire's various races, customs and traditions.

The hallmarks of the Roman Empire were its non-interference in the social affairs systems of the subordinate peoples, full tolerance towards their religious beliefs, and the practice of their rituals without discrimination or interference with the governing authority, insofar as they did not compromise the public security system and paid taxes, but their attitude towards the Christian faith differed. In this study, we will try to find out the accusations levelled at Christians until their followers are exposed to the persecution of power and to the irony and exasperation of society.

Keywords: Roman Empire; Christianity; Pline young; Tertullian; persecution**.**

.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 45–69

1.مقدمة :

إن النظر في السّمات المميزة للإمبراطورية الرومانية والمتمثلة في عدم تدخلها في أنظمة الشؤون الاجتماعية للشعوب الخاضعة لها، وفي عاداتها وتقاليدها وثقافتها ومعتقداتها، ولا حتى في قوانينها الداخلية، طالما أنها لا تخل بنظام الأمن العام، والتّسامح التّام الّذي عرفته السلطات الرّومانية اتجاهَ الدّيانات الوثنية الشّرقية منها أو الغربية، ذلك التّسامح الدّيني الّذي فسح المجال أمام كل الآلهة و العبادات دون تمييز، لوقعنا في حيّرة من أمرنا وتساءلْنا: ما هو الذّنْب الّذي اقترفه المسيحيون حتّى أصبحوا عُرضةً لاضطهاد السلطة وسخط المجتمع؟ وأيّ بواعث جعلت بعض أباطرة الرّومان يخالفون أعراف أسلافهم، ويُنزِلون عقابًا شديدًا بفئة من رعاياهم اختاروا لأنفسهم عقيدة وجدوا فيها ضالّتهم؟

ولتحليل هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الوصفي لوصف وضعية المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية، والمنهج التحليلي لفهم أسباب تعرض المسيحيين لاضطهاد السلطة وسخط المجتمع، وهو الهدف المتوخى من هذه الدراسة لمعرفة أسباب تعرض المسيحيين للاضطهاد في الإمبراطورية الرومانية.

2.سياسة السلطة الرومانية اتجاه المسيحية في بداية انتشارها:

لم تكن الديانة المسيحية–في البداية–معروفة للسلطات الرومانية، فهي اعتبرتها طائفة واحدة مع الجماعة اليهودية[1]، ذلك ما جعلها لا تُولي الاهتمام للصّراع الدّائر بين اليهود والمسيحيين، فهو–في نظرها –نزاع حول تفسير شرائعهم، ولا يليق لروما بحكم مكانتها وعظمتها التّدخّل في ذلك، طالما المسألة لا تضرّ بأمنها وسلامتها. كأنّ الجهل والاحتقار كانا يحميان براءة المسيحيين الأوّلين، حسب رأي جيبون إدوارد.[2]

لقد كانت الإمبراطورية الرّومانية متسامحة اتجاه المسيحيين، كوْنها تجهل حقيقة عقيدتهم، لذا وجدت المسيحية مكانتها ضمن الدّيانات المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، رغم الشّكّ الّذي انتابها إزاءهم منذ أيّام الإمبراطور نيرون (Néron) (54م-68م)[3]،حيث اتّهمهم هذا الأخير بتدبير حريق روما عام 64م[4]، إلاّ أنّ الأباطرة الأولون لمْ يكِنوا لهم أي عداء، ولم يعترضوهم في عقيدتهم، بل أغمضوا عيونهم عن

نشاطاتهم، فالإمبراطور تراجان(Trajan)(98-117م)كتب إلى بلين الشاب(Pline le jeune)[5]، حاكم بيثينيا في آسيا الصغرى (111-112م)، يعرفه بأنّ استخدام المخبرين للتّجسّس على المسيحيين يُعتبر عملاً منافيًا لروح العصر، حيث جاءت الرسالة كما يلي:" لقد اتبعت، عزيزي بليني، الطريق الذي كان عليك إتباعه في تعليمات محاكمة المسيحيين الذين أحيلوا إليك؛ لأنه لا يمكن وضع شكل معين وعام في هذا النوع من القضايا. يجب عدم تفتيشهم: إذا تمّ اتهامهم واقتناعهم، فيجب معاقبتهم. ومع ذلك، إذا أنكر المتهم أنه مسيحي، وأثبت ذلك من خلال سلوكه، أعني من خلال التذرع بالآلهة، يجب على المرء أن يُغفر بتوبته، وأي شك كان متهمًا به سابقًا. وعلاوة على ذلك، ينبغي ألا نتلقى أي نوع من الجرائم شجبا لا يقبله أحد؛ لأن هذا مثال خبيث، وبعيد كل البعد عن الحدود القصوى"[6]، إلاّ أنّ ذلك لا يعني عدم حدوث بعض الاضطهادات ضدّهم بتهمة العصيان والعناد العقائد.[7]

لقد بحث المؤرّخون عن سند قانوني يبرر الاضطهاد الذي تعرّض له المسيحيون في الإمبراطورية الرومانية، إلاّ أنّ النتائج التي توصلوا إليها غير مُقنعة[8]، فمنهم مَن افترض أنّ الإمبراطور نيرون قد سَنَّ قانونًا عامًّا يُحرِّم اعتناق المسيحية سُمِيَ" قانون نيرون"(Institutum Néronianum) استنادًا لما ورد عند ترتليان(Tertullien) في كتابه "الدفاع عن المسيحية"(Apologétique)، حين أشار إلى أنّ المسيحيين كانوا يُجرّمون بسبب عقيدتهم، وأن الاضطهادات التي كانت تنال المسيحيين وحدهم، كانت بسبب جرائم خيالية، لم يقع التحري في أمرها، و بسبب إمساكهم عن عبادة الإمبراطور[9]، لكن من النّاحية القانونية لمْ يُعثر على نصٍّ صريحٍ يُثبت ما أشار إليه هذا الأخير، لذلك يُمكن تفسير تدخُّل السّلطات الرّومانية في فضِّ النّزاعات، يكون راجعًا بالدّرجة الأولى لإقرار السّلم وتفادي الفوضى[10]، إذ يُستشفّ من خلال جواب الإمبراطور تراجان(Trajan) اعترافه بصعوبة اتّخاذ خطّة عامّة تجاه هذا النّوع من المسائل، لكنّه في نفس الوقت وضع قاعدتين أساسيتين، يُعتقد أنّ فيهما غوث ودعم للمسيحيين، فرغم توجيهاته إلى الحكم بمعاقبة الأشخاص المدانين قانونًا، يُحرم عليهم في نفس الوقت، التّحقيق مع المجرمين المشتبه فيهم. كما أنّه لم يُرخَّص للحكّام باتّخاذ إجراء بشأن كلّ بلاغ يصِل إليهم، وطالب بشدّة، وفي إصرار، إدانة مَن

تُلصق بهم تهمة المسيحية، بدليل إيجابيٍّ من مدع عادل يُعلن عن اسمه، وفي حالة عدم إقامة الدّليل، يتعرّض المخبر أو المبلغ إلى عقوبة صارمة، وربّما كانت تُطبّق في حقّ أيّ شخص ينسب زورًا أو بهتانًا جريمةَ المسيحية إلى زملائه المواطنين.[11]

تُعتبر الرسالة التي كتبها بلين الشاب(Pline le jeune)إلى الإمبراطور تراجان(Trajan) ملتمسًا منه الفصل في قضية تتعلّق بالمسيحيين[12] دَليلا على عدم وجود قوانين تُجَرِّمُهُمْ، فهو أخبره فيها بما قام به بالفعل، محبذا –بطرقة خفية–إبداء التسامح مع المسيحيين، ومتسائلا: "ألا يجب التمييز بين المسنين والشباب؟ أ لا نغفر لمن ارتدوا عن المسيحية وسجدوا لتمثال الإمبراطور، ولعنوا المسيح؟ أن يكون مجرد الاعتراف باعتناق المسيحية جريمة تستحق الموت دون إثبات جرائم أخرى، أم يجب معاقبة ما يصاحب ذلك الإيمان من جرائم"، ثم بدأ أسلوبه هو، فقد أعطى المتهمين فرصة للارتداد. أما الذين ثبتوا على الإيمان فأعدمهم، حيث اعتبر عنادهم وإصرارهم يستحقان العقاب، إلا أن الإدارة بتدخلها وجدت الكثير لتفعله، فقد قدمت لها عريضة مجهولة بها أسماء كثيرة، أنكر غالبيتهم أنهم مسيحيين، وكان بلين الشاب (Pline le jeune) مقتنعا بأن اجتماعات المسيحيين تخلو من الضرر، وبتعريض خادمتين للتعذيب، لم يكتشف سوى أوهام خاطئة، وأجاب تراجان (Trajan) بأنه لا يمكن وضع قاعدة عامة محددة وشاملة. ومن ثَمَّ يُمكن استخلاص أنّه لم تكن هناك قوانين أو مراسيم عامة من السّناتو(مجلس الشيوخ الروماني) نافذة المفعول ضدّ المسيحيين، وأنّه لا الإمبراطور تراجان(Trajan)، ولا أحد من أسلافه– ممّن كانت أوامرهم العالية تصدر فيما يتعلّق بالقضاءين– المدني والجنائي– أعلى بصراحة عن اتجاهاتهم فيما يتعلّق بالطّائفة الجديدة، وأنّه مهما كان من إجراءات اتّخذَت ضدّ المسيحيين، فإنّه لم يكن من بين هذه الإجراءات شيء ذو قيمة و قوة يصلح معهما ليشكل سابقة توجّه سلوك أيّ حاكم روماني.[13]

يظهر من خلال رسالة الإمبراطور تراجان(Trajan) وجود قرار رسمي لحظر المسيحية، غير أنمجمل الرسالة كان في صالح الديانة الجديدة، حيث قللت من المخاطر التي كان يتعرض لها أتباعها، وفي عهد

الإمبراطور هادريان(Hadrien)(117-138م) توقّفت عمليات البحث وملاحقة المسيحيين، إذ أرسل إلى وليه مينوكيوس فوندانوس (Minicius Fundanus) في آسيا، يأمره أن تعطى للمسيحيين فرصة عادلة للدفاع عن أنفسهم في محاكمة عادلة، ويجب أن لا يتعرض أي مسيحي للعقوبة إلا بعد التحقق من ذلك.[14]

وبموجب القوانين الّتي وضعها الإمبراطوران تراجان وهادريان توقّفت عمليات البحث وملاحقة المسيحيين، إلاّ أنّ تقديم القرابين للآلهة من قبلهم يُعَدُّ شرطًا مسبقًا لنجاتهم من العقاب.[15]

لم تكن السّلطات الرّومانية متشدّدة تجاه المسيحيين خلال المرحلة الّتي سبقت منتصف القرن الثّالث الميلادي، ففي الوقت الّذي كان فيه حكّام الولايات المتصدّرين للاحتفالات العامّة يميلون، عادةً إلى إرضاء الجماهير بتقديم بعض الضّحايا البغيضة إلى السّباع، عَاب الأباطرة هذه التّصرّفات، واعتبروها منافية لمبادئ الإنصاف في حكمهم، لذا نجد في مراسيم هادريان(Hadrien) ما ينصّ على عدم إيجاز التّسليم لصوت الجماهير، كَدليل قانوني لإدانة الأشخاص التّعساء المعتنقين للدّيانة المسيحية.[16]

كما لم تكن السّلطات الحاكمة في الولايات تتبع حركة ونشاط المسيحيين، وهؤلاء من جهتهم كانوا يتستّرون خلال ممارسة شعائرهم، ويتجنّبون التّظاهر لكلّ ما يكشف عنهم، بالتّالي تُقام حُجّة قانونية تُدينهم، لذلك لم تسجّل خلال المرحلة السّابقة لعهد الإمبراطور ديسيوس(داكيوس)(Decius) (249-251م) حركات قمع للمسيحيين، إلاّ في مناطقَ محدودةٍ ، ففي القرن الأوّل الميلادي، وقعت في روما دون غيرها وبإيعاز من نيرون[17]، وفي أواخر القرن الثّاني الميلادي شهدت مقاطعة إفريقيا البروقنصلية حركاتٍ قمعيةً دون غيرها، خلال حكم البروقنصل فيجيليوسساتورينوس(Vigillius Saturninus) الذي أصدر أمرًا بإعدام المسيحيين بإيعاز من الوثنيين الّذين ضغطوا عليه لملاحقتهم، كون هؤلاء المسيحيين لا يؤمنون بالآلهة الرّومانية حسب ما ورد في نصّ لترتليان جاء فيه: "إذا كان المسيحيون أعداء عامّين، فذلك لأنّهم لا يتوجّهون للأباطرة بعبادة كاذبة متهوّرة ...".[18]

ولما اكتظّت السجون بالمسيحيين، وجّه ترتليان(Tertullien) خطابًا للقضاة جاء فيه: "عندما يُتَّهم الآخرون بكلّ الجرائم الّتي يتّهموننا بها، يستطيعون هم أنفسهم بفم مرتزق، إثبات براءتهم، لهم كلّ الحرية في الإجابة، وللرّدّ بما أنّه ليس مسموحا قطّ الحكم على متّهم بدون أن يدافع عنه ودون الإنصات له، لا يُسمح للمسيحيين وحدهم قول ما من شأنه تبرئتهم (...) ينتظرون شيئا واحدًا، وهو ما كان ضروريا لإثارة الحقد الشّعبيّ، الإقرار بعقيدتهم وليس التّحقيق حول جريمتهم".[19]

لقد سعى الوثنيون كلّما سنحت لهم الفرصة للضّغط على الحكّام لإدانة المسيحيين دون أيّ دليل في غالب الأحيان، ولم يكن يُسمح لهم الدفاع عن أنفسهم، ودحض التّهم الموجّهة إليهم، و هنا وجه ترتليان(Tertullien)[20] خطابا لهؤلاء المحرّضين ضدّ المسيحيين جاء فيه ما يلي:"بالفعل حاسبوا أنفسكم، كم من مرّة تثورون ضدّ المسيحيين، ممتثلين مرّة لأحقادكم الشّخصية، ومرّة لقوانينكم؟ وكم من مرّة وبدون ترخيص منكم هجمت علينا سوقة حاقدة من تلقاء نفسها بالحجارة والمشاعل؟ وباندفاع شبيه باندفاع الباخسات، لمْ يُراعوا حتّى المسيحيين المتوفّين يُخرجون من القبور جُثَثًا مجهولة يُمزّقونها وينثرون أعضاءها".[21]

يُفهم من شهادة ترتليان(Tertullien) أنّ المسيحيين كانوا يتعرّضون للمضايقة والاضطهاد من المجتمع الّذي يعيشون فيه، أي من طرف الوثنيين الّذين هم من بني جلدتهم، وليس بأمر مباشر من الحكّام أو الإمبراطور نفسه[22]، وحتّى الحركات القمعية الّتي وقعت في عهد الإمبراطور سبيتميوس سيفروس(Septimius Severus) (193-211م) لم تكن بسبب عدائه للمسيحية كديانة، فهو كان متسامحًا في بداية عهده مع المسيحيين[23] ، لكن لما لاحظ ظهور طوائف مسيحية جديدة تدعو أتباعها إلى مناهضة الجندية، والتخلّي عن مهامهم في الجيش، ورفض المكافأة المقدّمة لهم في الاحتفالات الرسمية[24]، اعْتَبَرُ ذلك خرقًا للقانون العسكري الرّوماني، وخيانة عظمى للإمبراطورية، ممّا جعله يُعيد النّظر في طريقة تعامله مع المسيحيين، حيث أصدر قانونًا يقضي بمنع نشر المسيحية والدّعوة إليها سنة 202م [25]، الأمر

الّذي أطلق العنان لأحقاد الوثنيين لمطاردة المسيحيين، ومتابعتهم في كلّ مكان في شمال إفريقيا، وتقديمهم للعدالة، واستمرّ الوضع لسنتين، ثمّ توقّف في عهد البروقنصل جوليوس أسبير(JuliusAsper).[26]

لقد اختلفت طريقة التّعامل مع المسيحيين حسب المحاكم ومزاج البروقنصل نفسه، فهناك قواعد عامّة مقرّرة في اتّهام المسيحيين وعقابهم، وثَمَّةَ دوافع مختلفة كانت تجنح بحاكم الولاية إلى تنفيذ القانون أو التّراخي في تطبيقه، ومن أقوى هذه الدّوافع اهتمامه لا بالقوانين العامّة وحدها، بل بالمقاصد الخفيّة للإمبراطور نفسه، ذلك ما لاحظناه في ظلّ حكم الإمبراطور سبيتميوس سيفروس(Septimius Severus)، حين كان متسامحًا إزاء المسيحيين في بداية حكمه، وانقلابه عليهم في أواخر عهده. لكن زالت القوانين الّتي سنَّها بزوال سلطانه[27]، إلا أن رغم هدنة الّتي منوا بها بعد عهد هذا الأخير، بقي الحقد الشّعبي مستمرًّا، ولم يفتر اتّجاههم.

3.أسباب اضطهاد المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية:

هناك عدّة اتّهامات موجّهة للمسيحيين جعلتهم عرضة لاضطهاد السّلطة والمجتمع، يرجع جُلّها تقريبًا لأسباب عقائدية نجمت عنها أخرى سياسية واجتماعية.

1.3. عدم اعتراف المسيحيين بالسلطة المؤلهة:

كان المسيحيون ينظرون إلى الدنيا على أنها زائلة، وانّ نهاية العالم وشيكة الوقوع، وتطلعوا بعشق وآمال إلى يوم القيامة، والى المملكة السماوية، فقل اهتمامهم بالحياة الدنيوية، وكل ما يتعلق بها من واجبات تجاه السلطة والمجتمع، وكوْن الوثنيين يعشقون الدنيا، انصب اهتمامهم لكل ما يتعلق بها، كتأدية الواجبات نحو السلطة والمجتمع، ونظروا إلى المسيحيين المخلين بالنظم الاجتماعية والسياسية بالريبة والشك، فقابلوهم بالعداوة والبغضاء. والمسيحيون، من جهتهم، وتطبيقا لتعاليم عقيدتهم، رفضوا الاعتراف بالسلطة المؤلهة، بل تنبئوا بزوالها وسقوط ملكها، وهذا يُعتبر مساسا بالمصالح السياسية للسلطة الحاكمة في الإمبراطورية الرومانية، وتهديم للأسس التي قامت عليها واستمرت بفضلها، الأمر الذي جعل هذه الأخيرة، تضعهم عصب عينيها، وفي خانة العناصر الخطرة عليها وعلى المجتمع، بالتالي وجب تأديبها وإخضاعها لها.

في البداية لم يكن لأباطرة الرومان أيّ اعتراض على المسيحية كعقيدة، ولم يسبق لهم أن تدخّلوا في الدّيانات المنتشرة بين رعاياهم،وإنّما نقطة العداء تنبع من منطلق سياسي، وهو عزوف المسيحيين عن تقديم القرابين للإمبراطور الرّوماني باعتباره إلهاً، وحرق البخور أمام تماثيله في المناسبات العامة، كدليل الولاء للإمبراطورية، غير أن الكنيسة كانت ترفض من ناحيتها الفكرة القائلة بان الدين خاضع للدولة، و ترى في عبادة الإمبراطور نوعا من الشرك و عبادة الأصنام، لذلك أمرت أتباعها أن يرفضوا هذه الشعائر مهما ينلهم من الأذى بسبب هذا الرفض، و اعتبرت السلطة الحاكمة هذا التصرف تمرُّدًا سياسيا على سلطة الإمبراطور والإمبراطورية، بل صنفت المسيحية في خانة الحركات المتطرفة، تعمل في السر على قلب النظام.[28]

كماكان رفض الجنود المسيحيين ممارسة الطّقوس المعمول بها في الجيش، والّتي تدخل ضمن القوانين الرّسمية للسّلطات الحاكمة في المقاطعات، يُعتَبَر تمرّدًا في صفوف الجندية، وخرقًا لجهاز يُعد العمود الفقري للإمبراطورية الرومانية، وهو الأمر الّذي جعل الإمبراطور سبيتميوس سيفروس(Septimius Severus)[29]، يتّخذ إجراءاتٍ ردعيةً ضد المسيحية. وتُعَدُّ مثل هذه القرارات استثنائية إذا ما قارنّاها بالإجراءات المتّخذة من طرف أسلافه من الأباطرة الأولين، فهؤلاء لم يُعيروا لهذا الأمر أهمّية كبيرة، بل وقفوا ضدّ الوشاية بالمسيحيين، وتغاضوا عنهم ما داموا لا يُشكّلون خطرًا على أمن واستقرار الإمبراطورية، لكن ذلك لا يعني أنّ الأمور كانت على ما يُرام بالنّسبة لكل مسيحيي المقاطعات، بل تعرّض البعض منهم للتّنكيل والتّعذيب، بإيعاز من الوثنيين، وبتواطؤ بعض الحكّام، مثلما حدث سنة 180م بالبروقنصلية في إفريقيا، حين أمر البروقنصل فيجيلوس ساتورنينوس (Vigillius Saturninus) بإعدام اثني عشر مسيحيا من قرية سكيلي(Scilli)الواقعة قرب مدينة قرطاجة.[30]

إنّ العناد الشديد الذي قابل به المسيحيون مطالب السلطات الإمبراطورية كان مثيرا جدا للحكام الرومان، حيث اصطدم اعتدال أباطرة الرومان و احترامهم للقانون بتعنت المسيحيين اتجاه الديانة الرسمية، ممّا جعل هؤلاء يغيّرون سياستهم إزاء المسيحية، و ظهرت من خلال سّن قوانين مسايرة لهذا التغيير، ولم يَعُدِ التّضييق على المسيحيين بصفة معزولة وفي مناطق محدودة، بل تعلّق الأمر بإتباع سياسة عامّة عن طريق تقوية القانون الروماني لإبادة طائفة كاملة، طالما اعتُبرت غريبة وخطيرة على سلامة السّلطة

والمجتمع[31]، و بدأت سلسلة من عمليات الاضطهاد ضدَّ المسيحيين بأمر من الأباطرة أنفسهم عن طريق إصدار مراسيم إمبراطورية في عهد ديسيوس(Decius)وفاليريان(Valerien) ودقلديانوس(Dioclecien) ثمّ جاليريوس(Galerius).[32]

وبدأت سياسة الإبادة الجماعية بصفة قانونية ضدّ المسيحيين في عهد الإمبراطور ديسيوس(249م-251م) وذلك بإصدار مرسومه الشّهير للنّاس يأمرهم فيه بتقديم القرابين للآلهة الرسمية علنًا، أو على الأقلّ إشعال البخور أمام المذابح أو إراقة الخمر والمساهمة في مآدب المساء التي تُقدم فيها لحوم القرابين[33]، لتُمنح في الأخير شّهادات عُرفت باسم البراءات(Libellus) للمشاركين كدليل على مشاركتهم في العبادة الرّسمية وعلى الولاء لسلطة الإمبراطورية وذلك عام250م[34]، و الهدف من ذلك الإجراء جمع شمل شعوب الإمبراطورية الرّومانية حول العبادات الرّسمية، فالدّين والولاء السّياسي متلازمان بالنّسبة للإمبراطور، لِذلك يُعْتَبَرُ تقديم القرابين للآلهة الرّومانية وللإمبراطور تعبيرًا عن الخضوع التّام لإرادته وسلطانه، وتحقيقًا للأمن والاستقرار بفضل رعاية الآلهة واستمرار عبادتها.[35]

كان بإمكان الرومان ترك المسيحيين أحرارا في ممارسة شعائرهم الدينية لو اظهروا الطاعة-ولو شكليا-للديانة الرسمية، غير أن المسيحيين رفضوا الامتثال لأوامر السلطة الحاكمة، بل استنكروا هذا الفعل وسخروا من الآلهة، وراحوا يفسرون انهيار الإمبراطورية بالبشرى التي ورد ذكرها في النبوءات عن تدمير بابل وعودة المسيح عليه السلام.[36]

إن تمسك المسيحيين بتعاليم دينهم جلب لهم وِزْر جريمة لا تُغتفر، انفصلوا بها عن العبادة العامّة الشّائعة، معترفين بخضوعهم لسلطان يسمو على سلطان الحاكم. ورغم الإجراءات القمعية الواسعة الّتي مارستها السّلطة الرومانية ضدّهم، منذ عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس الى فترة حكم دقليديانوس، غير أنها لم تستطع الحد من نشاطهم، بل اعتبروا التّضحية بأنفسهم في سبيل عقيدتهم شرفًا وتخليدًا لهم بعد مماتِه.[37]

2.3 انفصال المسيحيين عن اليهود:

كانت المسيحية في بداية الأمر كنوع من اليهودية المصلحة، لم يفكر أتباعها في الانفصال عن المجتمع اليهودي، وكانت السلطات الرومانية تنظر إلى المسيحيين على أنهم من الطائفة اليهودية، لم تكن تنظر إليها إلا كطائفة من الطوائف اليهودية، لذلك كانت تسري عليهم ما كان يسري على اليهود من تسامح إزاء العبادات، فالرومان لم يكونوا يفرقون بين المسيحيين واليهود. لقد كان المسيحيون مندمجين مع

اليهود، إذ كانت الطّقوس المسيحية متشابهة مع الطّقوس التّعبّدية اليهودية، كالصّلاة والصّوم والاحتفالات وعِيد الفصح، إلاّ أنّ المسيح عليه السّلام خفّف عن أمّته أقسام العبادات، وحرّرها من الأشكال والصّور والقواعد والرّسوم والحركات، تلك الّتي وضعها الكهنة من عند أنفسهم، ولمْ يأمرْهم بِها النّبيّ موسى عليه السّلام والأنبياء الّذين جاؤوا بعده، كطريقة الصّلاة والتّخفيف من الصّوم وحتّى نوع اللّباس.[38]

لقد أخذ المسيحيون عن المجامع اليهودية طريقة تنظيم شؤون الكنيسة، وكل ما يتعلّق بتنصيب الشّيوخ واختيار القساوسة[39]،لكن بظهور الخلاف بين اليهود والمسيحيين أصبحت المجامع اليهودية مصدر قلقٍ للطّائفة المسيحية، ومن ألَدِّ أعدائها حسب شهادة ترتليان(Tertullien) [40]، وهذا يُفسّر سبب بداية عمليات الاضطهاد ضدّ المسيحيين في أواخر القرن الثاني الميلادي، أي بعد كشف السّتار عنهم، والوشاية بهم إلى السّلطات الحاكمة.

لقد استغلّ اليهود كراهية الوثنيين للدّيانة الجديدة لصالحهم خصوصًا بعد القطيعة الّتي حدثت بين الكنيس اليهودي والكنيسة في أواخر القرن الأول الميلادي، ولم يترك هؤلاء وسيلة لإثارة الشّكوك والأحقاد ضدّ أتباع المسيح عليه السّلام، حيث اعتبروا دينهم هرطقة خطيرة يجب إطفاء نيرانه كونه متعارض مع أمالهم وأحلامهم.[41]

كان النبي عيسى عليه السلام، في نظر اليهود، المسيح المنقذ الّذي طالما انتظروا ظهوره لِيُخلِّصهم مِمّا كانوا عليه من عبودية وذُلٍّ[42]، ولما كان يدعو إلى المحبّة والتّسامح والزهد في الدنيا، والإيمان باليوم الآخر، مدافعا عن الشّريعة الموسوية وروح القانون الإلهي ومغزاه[43]،وقفوا ضدّ دعوته، وقابلوه بالعداوة والبغضاء، بل اعتبروه مجرّد رجل كفر بدعوتهم العنصرية، معتقدين بأنّ المسيح الّذي بُشِّروا به في التّوراة، له صِفات لا تتوفّر في النبي عيسى عليه السلام[44]، كأن يكون ملكا عظيما، يبسط سلطانه على العالم، و يجعل من اليهود الشّعب الأعظم بين الشّعوب جميعا، ومن ثمّ افتروا عليه، وأثاروا عليه بيلاطس الحاكم الروماني لفلسطين آنذاك.[45]

ورغم أن النبي عيسى عليه السلام بُعث إلى بني إسرائيل وذلك لقوله"إنّما بُعثت إلى خراف بني إسرائيل الضّالة"[46]، إلاّ أنّ الحرب عليه وعلى دعوته من قبل اليهود جعلته يواجه السّلطتين الدينية والسياسية، حيث خاض حربًا عقائدية ضدّ رجال الدّين اليهود، و تبعه في البداية اثنا عشر رجلاً هم

الحواريون، فعلّمهم تعاليمه، وأرشدهم إلى ما يجب عملُه، وراح ينشر دعوته في القرى والمدن الصّغيرة، وهيّأ أذهان عامّة اليهود لتقبل دعوته، ونقلها إلى المدينة المقدّسة، غير انه لا يوجد في كتبهم ولا في تاريخهم الديني أي إشارة إليه، رغم أن دعوته موجهة إليهم.[47]

لقد تغيرت معاملة الرومان إزاء المسيحيين لما بدأوا ينشرون ديانتهم خارج اورشليم على إثر تشتت الرُسل والمبشرين وعقب الاضطهاد الذي شنه ضدهم رؤساء اليهود في القدس، إذ أشارت المصادر المسيحية إلى تعرض المسيحيين إلى الاضطهاد على أيدي اليهود لمنعهم من نشر الدعوة الجديدة، حيث ورد ذلك عن مؤرخ الكنيسة يوسابيوس القيصري(Eusèbius de Cesarée)بقوله:" إن اليهود بعد صعود المسيح مخلصنا لم يكتفوا بجريمتهم ضده، بل دبروا الكثير من المؤامرات ضد رسله على قدر استطاعتهم".[48]

فعمليات الاضطهاد بدأت ضد المسيحيين بإيعاز وتدبير اليهود، وكان أول ضحاياهم المسيح عليه السلام، الذي تمت محاكمته تلبية لرغبة اليهود حسب ما ورد في الأناجيل الأربعة المعتمدة من قبل الكنيسة، فهي أشارت إلى تآمر اليهود على قتله برئاسة الحبر الأكبر كايافاس، حين أثاروا عليه الحاكم الروماني لفلسطين بيلاطس. ورغم أن هذا الأخير تجاهلهم في البداية، لكن أمام إصرار رؤَساء الكهنة وشيوخ اليهود، قام بإصدار أمر إعدامه وصلبه، حسب ما ورد في الانجيل:"(...) فكانوا يزدادون صراخا قائلين:"ليصلب!". فلما رأى بيلاطس أنّه لا ينفع شيء بل بالحَرِيَّ يَحدُث شغبٌ، أخذ ماء وغسل يديه قدّام الجميع قائلا:"إنّي بريء من دم هذا البار! أبصروا أنتم!". فأجاب جميع الشّعب وقالوا: "دمه علينا وعلى أولادنا". حينئذ أطلق لهم باراباس، وأمّا يسوع فجلده وأسلمه للصّلب(...)ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها(...)ثمّ جلسوا يحرسونه هناك، وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: "هذا هو يسوع ملك اليهود لما كذبوا عليه، وتقولوا على عيسى عليه السلام بأنه يعتبر نفسه ملكا، يرفض دفع الجزية للقيصر، أصدر أمر القبض عليه، وإعدامه.[49]

لما رُفع المسيح عليه السلام، اشتّد الإيذاء والتّنكيل بأتباعه، وأقدم رؤساء اليهود الذين تآمروا ضدّه لقتله على متابعتهم ومطاردتهم، وإثارة الفتن ضدّهم، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع الإشعاع الرّوحي من الانتشار، بل كانت فرصة للمسيحية للخروج من محيطها الضّيق في القدس، وتعمّ أنحاء المعمورة[50]، بعد أن دفع البعض منهم حياته ثمنا لذلك، حيث قُتل يعقوب ابن زيدي أخو يوحنا الصياد، وسُجن بطرس، وقُتل القديس ستيفانوس(Stephanus) رئيس الشمامسة (36م و38م) رجما بالحجارة وهو يقول: " يا رب لا تحتسب عليهم هذه الخطيئة".[51]

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 45–69

و لما بدأت الأمور تسوء بالنسبة لمسيحي القدس و ازدادت آلامهم، اضطروا للهجرة خارج المدينة، بحثا عن الأمان و نشرا للدعوة في الأماكن التي استقروا بها[52]، فتعاليم المسيحية لم تعرف انتشارا خارج القدس إلاّ بعد الاضطهاد الذي تعرض له أتباعها، لذا يمكن اعتبار هذا الاضطهاد نعمة بالنسبة للمسيحيين، فلولاه لما وصلت دعوتهم إلي البلدان المجاورة و البعيدة، ولما أصبحت أنطاكية مقرّا للمسيحية في الشرق، والتي انطلقت منها دعوة الوثنيين للدخول إليها و اعتناقها، وفيها حمل المؤمنون لقب" المسيحيين"، حسب ما ورد في إنجيل متى:" ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول و لما وجده جاء به إلى أنطاكية، فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة و علما جمعا غفيرا. ودعي التلاميذ "مسيحيين" في أنطاكية أولا".[53]

وهكذا بدأ عهد جديد في تاريخ الديانة المسيحية، فبعد ما كانت محصورة بين اليهود وحدهم، أصبحت ديانة عالمية، وقدرا مشتركا لكل الناس، الأحرار منهم والعبيد، وكل معتنق لها مدعو لتقبل تعاليمها، ومسموح له الدخول في زمرة المؤمنين، وبالتالي أصبح من الواجب عليه نشرها بين أقربائه وأصدقائه، وإنذارهم بأشدّ العقاب في حالة رفض اعتناقها، لان ذلك يُعتبر مخالفة آثمة لإرادة الله. لقد انتشرت المسيحية في البداية على يد حفنة من الرجال البسطاء الأميين، عُرفت جماعتهم في أسفار العهد الجديد بالكنيسة الرسولية، تمتد فترتها بين سنتي 30م و100م[54].واستمرت عملية الانتشار بين شعوب البحر الأبيض المتوسط، حتى أنها تسرّبت إلى البارثيين والمصريين والنوميديين والإسبان وغيرهم[55]، رغم إعدام القديسين بولس وبطرس اللذين راحا ضحية اضطهاد الإمبراطور نيرون ضد المسيحيين عام 64م.[56]

3.3. كره الوثنيين للمسيحيين بسبب نقضهم لأسس المجتمع:

عُرف الرومان بطبيعتهم المتسامحة اتجاه كل الديانات، وكانوا متفتحين على معتقدات وأديان الشعوب الخاضعة لهم دون تمييز، إلا أن الأمر اختلف مع الديانة المسيحية، وذلك لشعورهم بأنها تنقض الأسس التي قام عليها المجتمع الروماني.

لقد أثار عدم مشاركة المسيحيين في أنشطة المجتمع وفي الحفلات العامة كره وسخط الوثنيين، حيث كانوا يتجنبون كل ما له صلة بالوثنية و الوثنيين، كالاحتفال بالأعياد الدينية والمهرجانات والألعاب[57]، فتعاليم المسيحية تعتبر عبادة الإمبراطور ضربا من الشرك، ومساسا بجوهر العقيدة، لذا كان على المسيحيين

رفضها مهما كان الأذى الذي سيصيبهم، حتى لا يخرجوا عنها، ورأى الوثنيون في هذه السلوكيات هروبا من الواجبات المدنية، فهم لمْ يعتادوا عليها، لذلك اعتبروها خيانة ضد الإمبراطورية الرومانية[58]، وكوْن الوثنيين يعشقون الدنيا، انصب اهتمامهم لكل ما يتعلق بها، كتأدية الواجبات نحو السلطة والمجتمع، ونظروا إلى المسيحيين المخلين بالنظم الاجتماعية والسياسية بالريبة والشك، فقابلوهم بالعداوة والبغضاء. حيث كانوا يتعرّضون لهم في كل مكان، بل صاروا يضغطون على السّلطة الحاكمة لِملاحقتهم، وأضحوا عرضة لعمليات اضطهاد جماعية.

كما عمل الوثنيون على التّشهير بالمسيحيين، واتّهامهم بارتكاب الجرائم، حيث أشار إلى ذلك ترتليان(Tertullien) خلال ردّه عليهم، لتبرئة المسيحيين من التّهم المنسوبة إليهم، مُبيّنًا بأنّ الوثنيين هم الّذين يقومون بكلّ هذه الأعمال بقوله: "يقولون بأنّنا مجرمون خطيرون بسبب أكلنا للحمهم- الأطفال- وارتكابنا للمحارم بعد تنظيمنا لمأدبة (...)"[59]، وقال في موضع أخر: "فيما يتعلّق بنا لقد حُرِّم علينا القتل بصفة نهائية، حُرِّم علينا حتّى قتل الطّفل المحمول في حضن أمِّه (....)"[60]، و يُضيف أيضا: "بالنّسبة لنا، نحن محميون من حادث مُحتمل كهذا، وذلك بسبب تمسُّكنا بِعفّةٍ دائمةٍ، وبقدر ما نحن في مأمن من الفسق وكلّ التّجاوزات بعد الزّواج(...) في مأمن من ارتكاب المحارم (....)".[61]

4.3. اتهام المسيحيين بالكفر وانتهاك حرمة النّظم الدّينية:

كان المسيحيون منغلقين على أنفسهم باتّخِاذ الاحتياطات اللازمة خلال إقامة شعائرهم الدّينية، ظنّا منهم أنّ ذلك يضفي على نظمهم المقدّسة الاحترام في أعين الوثنيين، إلا أن الأمر كان عكس ذلك، بل جعل هؤلاء يتخوّفون منهم في البداية، وتحوّل، فيما بعد، إلى إثارة الشّكوك حولهم، وافتراء الكذب عليهم، حيث نسبوا إليهم أعمال الكفر والفسق، ونعتوهم بأنّهم شرّ البرية، يأتون المنكرات، وتغلغلت هذه الأكاذيب في عقول الجماهير، واعتبرهم النّاس أعداء الآلهة والبشر، وعِلّة الشّرور كلّها، من زلازل وحروب وفيضانات.[62]

لقد أدى حرص المسيحيين على تطبيق تعاليم دينهم بمعزل عن الوثنيين إلى هدم روح التسامح في الإمبراطورية، فبينما قبلت كل الأديان التساهل وحرية الاختيار، رفضت المسيحية المهادنة وتقبل الأنظمة الدينية الأخرى، وبدت بذلك ظالمة للعبادات التي كانت السند الروحي لكثير من الشعوب قبل ظهور المسيحية، وأشار إلى ذلك ترتليان بقوله:"لقد توقّفنا عن تكريم معبوداتكم منذ الوقت الّذي تأكّدنا فيه بأنّها ليست معبودات (...)"[63]. لقد كان المسيحيون مندمجين في عصبة موحّدة، خاضعة لقيادة الأساقفة،

وكونوا بذلك كيانا مستقلا داخل الدولة، بل حرموا على أبناء عقيدتهم المشاركة في الخدمات المدنية والعسكرية للإمبراطورية.

كان الوثنيون على استعداد قبول عبادة المسيح مع ايزيس ومترا وغيرهم من الآلهة المنتشرة في الإمبراطورية، غير أن المسيحية كانت تدعو إلى الانفصال التام عن كل الإلهات، وقبولها كديانة وحيدة دون غيرها، كونها-في نظر أتباعها-تسمو فوق كل الديانات، بل لم يكن مسموحا للوثنيين الانضمام إلى الكنيسة، ما لم ينبذوا آلهتهم ويتنكروا لها، وهذا الأمر جعل المسيحيين ينتهكون حرمة النّظم الدّينية المعروفة في مجتمعهم، ويحلّون روابط العرف والتّعاليم المقدّسة فيه.

و لم يقنع المسيحيون بالانسحاب من الممارسات الوثنية، بل كانوا يحتقرون ما آمن به آباؤهم، و كل الديانات الوثنية، ويرفضون أيّ ارتباط بها، بل هزأوا من القول بأن عظمة روما ترجع إلى احترامها للآلهة، لذلك ألقت عليهم السلطة الحاكمة مسؤولية التدهور والفشل، والتي فسرتها على أنها غضب من ألهة روما القديمة، بسبب إهمال عبادتها[64]، ممّا جعل الوثنيين يعتبرونهم كأعداء عامّين سلبيين مصدر كلّ المصائب الّتي لحقت بهم، بل اجتمعت في نفوسهم مشاعر الحقد والتّعصّب والّتي صوّرت لهم المسيحيين على أنّهم مجتمع من الملحدين، والّذين استقوا أعنف سخطٍ من السّلطة المدنية، وقال أحدهم بهذا الصّدد" مهما يكن من أمر المبدأ الّذي يحكم سلوكهم، فإنّ عِنادهم الّذي لا يلين ولا ينثني بدَا جديرًا بالعقاب".[65]

5.3.سوء فهم المثقّفين للديانة المسيحية:

شهدت المسيحية منذ نشأتها تضييقا كبيرا من قبل العديد من العقائد والديانات التي ساهمت في تعرض المسيحيين إلى هجمات واسعة من قبل اليهود والوثنيين، ذلك أن المسيحية بعثت في بيئة يهودية ووثنية، تخالفها في المعتقدات والمغزى، إذ لم يتقبل اليهود تعاليم المسيحية، خاصة ما تعلق منها بالتثليث، وسرعان ما نسجوا حولها تفاسير خاطئة تصور الاعتقاد المسيحي معاديا للتوحيد الإلهي، ووفقا لاعتبارات ذاتها، شن الوثنيون حملات شرسة ضد المسيحيين.

ولما كان الإيمان بالحياة الآخرة، وما فيها من بعْثٍ ونشور، رُكْنًا أساسيًا في عقيدة المسيحيين، فإنه نادرًا ما اعتبر الوثنيون في اليونان وروما نظرية "الحياة الثّانية" ركنًا أساسيًا من أركان الإيمان، فعناية الآلهة عندهم تتجلّى في الحياة الدّنيا. كما أن ابتهالاتهم والتّوسّلات الّتي كانت تُقدم على مذابح الآلهة، تُعبِّر عن

تلهُّف عبادها على السّعادة الدّنيوية، وعن جهلهم أو عدم اكتراثهم بالحياة بعد الموت[66].وتُمثّل كتابات شيشرون (Cicéron)[67] بأجلى بيان، جهل الفلاسفة القدامى وأخطائهم وتردّدهم فيما يتعلّق بخلود الرّوح،يرون في الموت مخلِّصَهم من نوائب الحياة، وأنّهم لن يقاسوا منها بعد موتهم[68]. ولم تستطع الجهود الفائقة للفلاسفة أن تخطوَ أكثر من الإشارة إلى الرّغبة أو الأمل، أو على الأقلّ احتمال حياة ما بعد الموت.

لقد ظلّ الفلاسفة يسخرون من نظرية البعث والنّشور متأثّرين بالأفلاطونية الّتي أُقيمت فلسفتها على الانتقاص من قيمة العالم المادّي والجسدي[69]، فالأديب تاسيت(Tacite) الذي كان على رأس عباقرة الفكر الروماني في الأدب والتاريخ اعتبر المسيحية من الامور البغيضة الشنيعة التي اجتاحت روما، وصفها بـ "خرافة قاتلة"[70]، كما وصفهاسويتون (Suétone)بانها "غريبة و ضارة"[71]، وقال عنها بلين الشاب(Pline le jeune) بأنها "تافهة وحقيرة"،ولذلك قال البعض: أن المسيحيين كانوا مكروهين وملعونين من كل الجنس البشري. وقد تأكدت هذه الكراهيةوهذا الحقد بهجمات الفلسفة على المسيحية. وعندما شدت الديانة الجديدة أنظار الفلاسفة، لم يكن ذلك-أولا-إلا للسخرية منها. ويمكن معرفة موقف الفلسفة الوثنية –بجلاء-بقراءة كتابات المدافعين المسيحيين مثل ترتليان.

وحتّى المثقّفين ممَّن عُرِفوا بحكمتهم وبحثهم عن الحقيقة وممارسة الفضيلة، مثل بلين الشاب (Pline le jeune) المعروف في المراسلات الأدبية أو الرسائل التي كانت مرآة لأحوال الإمبراطورية الرومانية، قال بأن المسيحية "تافهة وحقيرة"، و وصف المسيحيين بأنهم فئة من المتحمّسين العنيدين المتمرّدين الّذين خضعوا خضوعًا صريحًا لمعتقداتهم الغامضة[72].كما يظهر من خلال كتابات أبوليوس لوكيوس (Lucius Apuleius)[73] الذي كان أحد أعمدة الأدب اللاتيني، مدى احتقاره للمسيحية، حيث سرد قصّةَ امرأةٍ مسيحية، زوجة خباز، لم تحفظ شرف زوجها وأسرته، و وصفها بأبشع الصفات، عدوانية بكل تواضع للدين، مدعية أن لديها مذبح من بلدها لإله واحد، و زعم أنّها أحبّت حِمارًا ، وقال في ذلك:"طاغية وقبيحة، فاجرة وسِكّيرة، (...)، عدوّة للعقيدة، متخاصمة مع العفة و الحشمة، تدوس بأرجلها كل دين، وعوض ديانة محدّدة تعتنق ديانة مدنّسة وذلك بإيمانها بِرَبٍّ تزعم أنّه واحد، تخدع بواسطته تقواها المزعوم كلّ النّاس، بِما فيهم زوجها البائس، تشرب منذ الصّباح، وتتعاطى البغاء كل النّهار".[74]

لقد أنكر الأدباء والمفكرون الّذين يُعتَبَرون من صفوة المجتمع المسيحية واعتبروها خرافة، في حين غفلوا عن الأدلّة الّتي قدّمتها "القدرة الإلهية" (معجزات المسيح عليه السّلام) لا لعقولهم بل لحواسّهم، ففي الوقت الّذي كانت فيه المسيحية تنتشر بسرعة بين الفقراء، والمعوزين، والمظلومين، الّذين يطلبون الخلاص من هذا العالَم الظّالم، كانت العبادات الوثنية والمتمثّلة خاصّة، في الإلهة "إيزيس"(Isis) المصرية[75]، والإله الفارسي ميثرا (Mithra)[76] تنتشران بين المثقّفين والجنود.[77]

رغم جهل هؤلاء المفكرين وصدي آذانهم لكل ما يتعلق بالمسيحية، إلاّ أنّ هذه الأخيرة وجدت طريقًا إلى قلوب وعقول بعض المثقّفين من الطّبقات الميسورة، وكان من بين المهتدين شخصياتٌ رائعة مثل ترتليان(Tertullien) الذي لمع نجمه في نهاية القرن الثاني، وهو الذي استعمل اللغة اللاتينية في الكتابة، وظهرت بفضله روائع في الأدب اللاتيني المسيحي الأولى، أهمها كتابه "الدفاع عن المسيحية"(Apologétique)[78]، بالإضافة إلى القدِّيس كبريانوس(Cyprianus) أسقف قرطاجة[79] الذي استُشهد عام 258 م بقطع رأسه و هو مُصِرًّا على التمسك بعقيدته.

4. خاتمة:

كان التّحدِّي الكبير للسلطات الرومانية في الانتشار الكبير الذي عرفته الديانة المسيحية في أراضيها، فهي ألقت اللّوم على أتباعها وطالبتهم العودة إلى ديانة الأجداد، لأنّ هذه الأخيرة في نظرها، هي الّتي قادت روما من قرية صغيرة إلى إمبراطورية عظيمة، لذلك اتّهمت المسيحيين بالخيانة والتّخاذل حين عارضُوا الامتثال لأوامرها.

لمْ يكن عَداءُ الأباطرة للدّيانة الجديدة قائما على أساس اعتراض في العقيدة، ولم يسبق لهم أن تدخّلوا في الدّيانات المنتشرة بين رعاياهم، لكن نقطة العداء الوحيدة ضد المسيحية كانت تنبع من منطلق سياسي، وهو عزوف المسيحيين عن تقديم القرابين للإمبراطور الرّوماني باعتباره إلهًا، وحرق البخور أمام تماثيله في المناسبات العامة، فهذا يُعتبر تمرُّدًا سياسيا على سلطة الإمبراطور المقدّسة.

كما أنّ غيرة المسيحيين على دينهم وحرصهم على تطبيق تعاليمه، جعلهم ينتهكون حرمة النّظم الدّينية المعروفة في مجتمعاتهم، ويمتنعون عن المشاركة في العبادة الوثنية وطقوسها، ويحلّون روابط العرف والتّعاليم المقدّسة فيها، حيث اندمجوا في عصبة موحّدة، مشكّلين مجتمعًا خاصًّا بهم، وعزفوا عن المشاركة

في كلّ ما له علاقة بالوثنية، كالأعياد والاحتفالات الرّسمية والزّواج، ممّا جعل الوثنيين ينظرون إليهم كأعداء عامّين سلبيين، مصدر كلّ المصائب الّتي لحقت بهم، والنّاتجة عن غضب الآلهة الّتي تخلّوا عن عبادتها، فاجتمعت في نفوسهم مشاعر الحقد والتّعصّب والّتي صوّرت لهم المسيحيين على أنّهم مجتمع من الكفّار الّذين استقوا أعنف سخطٍ من السّلطة المدنية،لذلك سعوا كلّما سنحت لهم الفرصة الضّغط على الحكّام لإدانتهم.

وإذا أنكر الأدباء و المفكرون المسيحية واعتبروها خرافة وغفلوا عن الأدلّة الّتي قدّمتها "القدرة الإلهية" (معجزات المسيح عليه السّلام) فالأمر ذاته ينطبق حاليًا على العلماء الوثنيين من الغرب أو من الشّرق، والّذين أبدعت عقولهم في كلّ شيء، لكنّهم ما زالوا إمّا ملحدين أو مؤمنين بأصنام وخرافات من بقايا العبادات الّتي ورثوها عن أجدادهم من الهندوسيين والبوذيين وغيرهم، وهؤلاء تنطبق عليهم الآيات الكريمة من سورة الأنبياء: " وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ [51] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ [52] قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ [53] قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [54] قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ [55] قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ". [56]

5. الهوامش:

[1] لقد اتبعت السلطة الرومانية سياسة التسامح الديني اتجاه اليهود منذ القرن الأول قبل الميلاد نتيجة موقفهم إزاءها أثناء صراعها مع دولة السلوقيين، وتخليهم عن نصرة آخر حكام البطالمة في ولاية سوريا. كما منحت لهم امتيازات اقتصادية وتجارية وأعفتهم من المشاركة في العبادة الإمبراطورية. رأفت عبد الحميد، **الدولة والكنيسة**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ج 2، ص27.

[2] جيبون ادوارد، **اضمحلال الامبراطورية الرومانية**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997، ص198.

[3]الناصري سيد احمد علي، **تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص163.

[4]في السنة العاشرة من حكم الإمبراطور نيرون حدث حريق كبير في روما، دمر على إثره المعابد وأفخم القصور وعدة أحياء في المدينة. ولم تتخذ الحكومة الإجراءات اللازمة لتخفيف الأضرار الناجمة، واتهمت الإشاعات الإمبراطور نيرون بإحراق عاصمته عمدا، فصمّم هذا الأخير إلصاق التهمة ببعض المجرمين الوهميين ليحول عن شخصه التهمة والشبهة. ويقول تاسيت(Tcite):" وعلى هذا الاساس أنزلنيرون أشدّ ألوان العذاب بهؤلاء الرّجال الّذين – تحت اسم المسيحية القبيح (في رأي نيرون) وقدوصموا فعلا بأشنع العار، فقد اشتقّوا اسمهم ونشأتهم من المسيح الّذي لقِيَ حتفه في عهد تيبيريوس يوليوس قيصر على يد نائب الحاكم بيلاطس البنطي، وذاعت هذه الخرافة في كلّ موطن ووصلت إلى روما وأُدين المسيحيون جميعًا، وعُذِّبوا حتّى ماتوا، ودُقَّ بعضهم بالمسامير على الصّلب، وقُد آخرون في جلود الحيوانات المتوحشة وتركوا لنهب الكلاب، و أوقدت النار في الآخرين".

Tacite, œuvres complètes de Tacite, les Annales, traduites en français avec une introduction et des notes par J.L. Burnouf, librairie de Hachette et Cie, Paris, 1859, XV, 38-44.

[5] بلين الشابهو غايوس بلينوس كاسيليوس عاش ما بين 61–113م، شغل عدة مناصب إدارية هامة، محاميا بارزا في روما. وقد حفظت كتاباته شهرته الواسعة. فقد نشر تسعة كتب رسائل بين عامي 100و 109م.وقد عزي إليه إيجاد الرسائل كضرب أدبي، وذلك بسبب النجاح الذي لقته كتبه ضمن أدب عهده وما تلاه. يضم كتابه الأخير من رسائله و الذي نُشر بعد مماته مراسلاته مع الإمبراطور تراجان عندما كان حاكما على بيثينيا في آسيا الصغرى مابين111م

و112م. روبيرت فان فورست، **يسوع المسيح خارج العهد الجديد (مدخل إلى الأدلة القديمة)**، ترجمة وسيم حسن عبده مراجعة و تعليق منذر الحايك، دار صفحات للدراسات و النشر،سورية، دمشق، 2012، ص39.

[6]Pline le jeune, Itinera Electronica , Du texte à l'hypertexte, Lettres, Livre X. Site electronique : Bibliotheca Classica Selecta(BCS) :02/02/2004.

[7]الناصري سيد احمد علي، **المرجع السابق**، ص304.

[8]Mattei, P.,Le christianisme antique I^{er} – v ^{ème} siècle, 2ème édition, Ellipses, 2011, p. 66.

[9]Tertullien, Apologétique, texte établi et traduit par Waltzing, J.P., Société éditions, belles lettres, Paris, 1929, V/1, 2, 3,4 et II/1, 2, 3, 4,5.

[10]Mattei, P.,op.cit, p. 66.

[11]جيبون ادوارد، **المرجع السابق**، ص305–306.

[12]Pline le jeune, Lettre X, 97.

[13]جيبون ادوارد، **المرجع السابق**، ص305.

[14]أرسل الإمبراطور هادريان إلى وليه في آسيا مينوكيوس فوندانوس (Minicius Fundanus) يأمره أن تعطى للمسيحيين فرصة عادلة للدفاع عن أنفسهم في محاكمة عادلة،و يجب أن لا يتعرض أي مسيحي للعقوبة إلا بعد التحقق من ذلك.

Eusèbe De Césarée, histoire ecclésiastique, livres I-IV-texte grec et traduction française, par Emile Curé, Paris, librairie Alphonse Picard et fils, 82, rue Bonaparte, 82, 1911, livre IV/9.

[15]Tertullien, Apologétique, XXI.

[16]جيبون ادوارد، **المرجع السابق**، ص305–306.

[17]Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, Armand colin, Paris, 2008-2009, p. 134.

[18]Tertullien, Apologétique, XXV, 1.

[19]Ibid,II, V, VII, IX, XXI, XXXVII.

[20] لقد وجّه ترتليان عدّة خطابات جاء ذكر البعض منها في كلّ من: موجّه للوثنيين(Ad versus Nationes)و آخر موجّه للشّهداء والمسيحيين الّذين في السّجون(Ad versus Martyrs) وخطابا ضد اليهود (AdversusIudaeos) وآخر للقضاة أو الحكّام يُذكّرهم بِمهامهم وبقوانين الإمبراطورية الرّومانية الّتي صدرت في عهد تراجان وخلفائه إلى غاية عهد سبتيموسسيفيروس.

[21]Tertullien, Apologétique,II, V, VII, IX, XXI, XXXVII.

[22]Allard, P., La persécution de Dioclétien et le triomphe de l'église, T.2, deuxième éd., librairie Victor Lecoffre, Paris, 1900, p.68.

[23]اقتنع الإمبراطور سبيتميوس سيفروس خلال مرضه بأنّ الزّيت المقدّس الّذي مسحه به أحد عبيده المسيحيين، قد أفاده روحًا وماديًا، ومن ثَمَّ عامل عدّة أفراد من حاشيته المسيحيين معاملة خاصّة مميّزة، وكانت مربية ابنه كاراكلا وكذلك معلّمه من المسيحيين، وذلك ما جعله يوقف بطش القوانين المعادية لهم. جيبون إدوارد، **المرجع السابق**، ص 319.

[24]Bernet, A., Les chrétiens d'Afrique des origines à la conquête Arabe, Ed. De Paris, 2006, pp.40-42.

[25]Ibid, pp.44-45.

[26]Monceaux, P., H.L. A. C, Tome II, 1902, p.46.

[27]جيبون ادوارد، **المرجع السابق**، ص317–319.

[28] ديورانت وول، **قصة الحضارة**، مجلد 3، ج.3، دار الجيل، بيروت، 1988، ص370–371.

[29]الناصري سيد احمد علي، **المرجع السابق**، ص304.

[30]سكيلي: تقع بالقرب من قرطاج لم يتوصل العلماء بعد إلى تحديد موقعه.

Duchesne, L., histoire ancienne de l'église, T.1, sixième éd., ancienne librairie Thorin et fils, Fontemoing éditeurs et Cie, Editeurs, Paris, 1911, pp.393-394.

[31]سعيدة أويحي، **الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الميلادي إلى بداية القرن الخامس الميلادي**"قرطاجة ونوميديا أنموذجا"أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، 2017، ص151.

[32]Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, …, p. 145-153.

[33]Cyprien, T., correspondance (Vol. Tome 1). (L. C. Bayard, Trad.) Paris: Société d'édition« Les belles lettres », introduction XIV; XV, 1925.

[34]Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, …, p .147

[35]سعيدة اويحي، **المرجع السابق**، ص151.

[36] ديورانت ول و. ، المرجع السابق، ص377.

[37]Le Bohec, Y. , histoire de l'Afrique romaine 146 Avant J.-C. 439- après J.-C. J.Picard, Paris,2005, pp.74-78.

[38]فاروق الدملوجي، **تاريخ الاديان الإلوهية و تاريخ الآلهة**، الاهلية للنشر و التوزيع، بيروت،2003،ص502–504.

[39]ميغوليفسكي أ.س.، أسرار الآلهة والديانات، ترجمة ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين، 2009، ص464-465.

[40]Tertullien, Apologétique,II, V, VII, IX, XXI, XXXVII.

[41]Eusèbe De Césarée, H.E., livre IV/9.

[42] دخلت ارض فلسطين ضمن سيطرة الإمبراطورية الرومانية في بداية القرن الأول الميلادي، وأثقل كاهل شعبها بالضرائب ودفع الجزية قسرا مما جعله يعاني البؤس والفقر والحرمان. وفي عهد الحاكم بلاطيس البنطي (Pontius Pilatus)(26م-36م) أساء معاملة اليهود فهو الذي حكم على المسيح عليه السلام بالصلب.

المغلوث سامي بن عبد الله بن احمد، أطلس الأديان، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكات للنشر، الرياض، 2009، ص182.

[43]ميغوليفسكي أ.س.، المرجع السابق، ص411.

رغم أن النبي عيسى عليه السلام بُعث إلى اليهود، إلا انه لا يوجد أي إشارة إليه في كتبهم، ولا في التاريخ الديني لليهود ولا إلى دعوته، لعدم اعترافهم بنبوته.

يحي احمد اسماعيل، الإسلام و المعتقدات الدينية القديمة، دار المكتبة العربية للكتاب، 2002، ص 188، 189.

اهتم تلاميذ المسيح عليه السلام بتدوين التعاليم التي ورثوها عنه شفاهة، و وضعت الأناجيل و الرسائل و سائر الكتب السبعة و العشرين، و هي كتب العهد الجديد،وكلمة إنجيل استعملت للدلالة على الرسالة التي كُلف بها النبي عيسى عليه السلام، لا على الكتاب المُنزل، فهي تبدو من قراءة العهد الجديد على أنها "بشارة" (Gospel) و ليس كتابا منزلا.

عبد بن عبد الله و آخرون، لغات الرسل و أصول الرسالات، موسى،عيسى، مُحَمَّد عليهم الصلاة و السلام: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، ايسيسكو، (1423هـ/2002م)، ص126،127.

[45] الانجيل،**كتاب العهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط، القاهرة، 2005. انجيل متى، 24-27.

[46] انجيل متى، 5/10-7.

[47] يحي احمد اسماعيل، **المرجع السابق**، ص188.

[48]Eusèbe De Césarée, H.E., livre IV/9.

[49] إنجيل متى، 23-37.

[50] انحصرت الدّعوة في البداية في بني إسرائيل وذلك لقول عيسى عليه السلام " إنّما بُعثت إلى خراف بني إسرائيل الضّالة " (إنجيل متى، 5/10-7)، إلاّ أنّ الحرب عليه وعلى دعوته من قبل اليهود جعلته يواجه السّلطتين الدينية والسياسية، الأمر الذي دفع أتباعه إلى إطلاق دعوته الأممية، إذ جاء في الإنجيل أن المسيح عليه السّلام اجتمع مع حواريه قبل رفعه إلى السماء، وطلب منهم قائلا: "

دُفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به. وها أن معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر". إنجيل متى، 28/16-20.

[51]الانجيل، أعمال الرسل،60/7.

[52]كان عيسى عليه السلام يتحدث باللغة الآرامية أي السريانية، ولم تُكتب في حياته أية واحدة من الآيات والإلهامات الربانية النازلة عليه والتي نطق بها بلسانه الكريم، إنّما كان يبلغها شفهيا إلى تلاميذه، ونّقلت عنه شفهيا أيضا إلى المؤمنين برسالته، حتى كُتبت الأناجيل بعده بعشرات السنين، وباللغة اليونانية والعبرية، فكان التعليم المسيحي خلال تلك المدة يدور حول ما عُلق بالأذهان من كلمات وأقوال وتعاليم السيد المسيح الشفهية. الدملوجي، **المرجع السابق**، ص535.

[53]الانجيل، أعمال الرسل، 25/11-26.

[54] نهى النجار، **الديانة المسيحية موسوعة الأديان السماوية و الوضعية**،بيروت، دار الفكر اللبناني، 1995، ص142.

[55]ميغوليفسكي أ.س ، **المرجع السابق**، ص363-367.

[56]الناصري سيد احمد علي، **المرجع السابق**، ص165.

[57]Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, …, p .140.

[58]رافت عبد الحميد، **المرجع السابق**، ص36-35.

[59]Tertullien, Apologétique,II, V, VII, IX.

[60]Ibid, XXI, XXXVII.

[61]Ibid,VII, IX, XXI,

[62] نهى النجار، **المرجع السابق**، ص148.

[63]Tertullien, Apologétique,II, V, VII, IX, XXI, XXXVII.

[64] الناصري سيد احمد علي، **المرجع السابق**، ص386.

[65]جيبون ادوارد، **المرجع السابق**، ص294.

[66] **المرجع نفسه**، ص245.

[67]Ciceron, Œuvres completes, Tuscualnes , J.J. Dubochet, Paris, 1878,Tome III, Livre I,p 49

[68]جيبون ادوارد، **المرجع السابق**، ص245.

[69]Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, …, p.141.

[70]Tacite, annales, librairie de Hachette et Cie, Paris, 1859, livreXV.

[71]Suetone, Vie des douze Césars, Bobochet, Paris, 1845, Neron 16.

[72]Pline le jeune, Lettres, X.

[73] وُلد أبوليوس لوكيوس في حوالي سنة 125م وتوفي في 180م، كان يقول أن نصفه نوميدي و آخر جيتولي. تلقى تعليمه في مدينته مادور، ثم تابع دراسته في قرطاج، وآخرها أثينا. استكمل ثقافته خلال رحلات قام بها إلى ايطاليا واليونان وآسيا الصغرى، وتوقف خلال رحلاته في طرابلس. تأثر بالأفلاطونية التي ظل يدرسها طيلة حياته. يُعتبر من أشهر الكتاب الأفارقة ومحاضر محبوب احتفظت لنا الأزاهير بثلاث وعشرين من خطاباته، من أهم أعمال أبوليوس كتابه "مسخ الكائنات" لكن هذا المؤلف عُرف باسم آخر هو "الحمار الذهبي" وهو اوديسا من المغامرات التي يقوم بها شاب تحول إلى حمار بفعل السحر.

Gostynski,T., au sommet de pensée humaine ,la littérature de l'Afrique du nord, librairie chatr Ahmed, Marrakech, pp.17-38.

[74]Apulée, œuvres complètes, l'Âne d'or ou les Métamorphoses, Paris, 1865, livre IX.

[75]كانت ايزيس الإلهة الأم الحزينة والمواسية والمحبة، وحاملة هبة الحياة الخالدة، وكانت شعوب البحر كلها تعرف كيف مات زوجها العظيم وكيف قام بعدئذ من الموت، وكيف يحتفل بهذا البعث السعيد في كل مدينة كبيرة، وكانوا يشيرون إلى ايزيس بصورة تماثيل تحمل بين ذراعيها حورس ابنها الإلهي ويسمونها في الأوراد والأدعية "ملكة السماء"، و"نجم البحر"، و"أم الإله ". ديورانت ول وايرل، **المرجع السابق**، ص147-148.

[76] انتشرت عبادة الإله ميثرا في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية. هو إله النور والحق و الطهر والشرف. و كان يُقال أحيانا انه اله الشمس التي لا تقهر مثل ما هو الأمر في روما يحمي الجنود و يشجعهم في كفاحهم الدائم ضد الشر بكل أنواعه و لهذا عرف انتشارا في الأوساط العسكرية. المرجع نفسه، ص148-149.

[77]الناصري سيد أحمد علي، **المرجع السابق**، ص304.

[78] كان ترتليان يرى أن الدعوة إلى المسيحية عملا متواصلا، يدعو إخوانه إلى التخلي عن كل شيء من اجل نصرتها، حيث تقدم بنفسه صفوف النضال يشجع الاستشهاد و يحتج له (Ad. Martyres)و يرد على التهم الموجهة ضد المسيحيين(Ad. Natones) ((Apologeticum) ad Scapcelam) لا يرى تضاربا بين العقل و الدين، بل كان يعتبر الفلاسفة رواد خانوا أنفسهم.وكان إذا تفقه في الدين يتناول أخطر المواضيع وأدقها لوجود الله، وحقيقة الروح واليوم الآخر.

أعظم ما ألف في الدعوة كتابه " الدفاع عن المسيحية" (Apologétique)حيث تعمق في أصل الخلاف بين المشركين والمسيحيين منكرا الاضطهادات التي كانت تنال المسيحيين وحدهم من اجل جرائم خيالية لم يقع التحري في أمرها ومن أجل ازدراء الديانة القومية وإمساكهم عن عبادة الإمبراطور.

شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي**، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، النشرة الخامسة، الدار التونسية للنشر، 1985، ص258–259.

[79]القديس كبريان(205–258م): كان كاهنا ثمّ سُيم أسقفا على كنيسة قرطاج عام 248 أو 249م، بعدها بسنة بدا اضطهاد ديسيوس، فاضطر إلى الهروب خارج المدينة، كان يتابع رعايا الكنيسة عن طريق الرسائل. وبعد انتهاء الاضطهاد واجه مشاكل عديدة في الكنيسة التي كانت منقسمة بشأن المرتدين ذلك دفعه لتأليف كتاب حول المرتدين بعنوان " في المرتدين"(De lapsi)، و"في وحدة الكنيسة" (De unitate ecclesiae). وفي حدود عام 255م ظهرت مشكلة شرعية معمودية الهراطقة التي كان يعتبرها باطلة. سعيدة أويحي، **المرجع السابق**، ص152–164.